المجلد: 07؛ العدد 01؛ 2018
ص 11-19

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

نتائج الأبحاث الأثرية لفترة ماقبل التاريخ بالجنوب المغربي:عناصر ومعطيات أولية، وادي صياد نموذجاً.

The results of archeological research for the prehistoric period in southern Morocco: preliminary elements and data, Wadi Sayyad model.

الدكتور:رشيد صديق.

جامعة محمد الخامس- الرباط-

-المملكة المغربية-

الملخص:

يتحدث هذا المقال عن بعض نتائج الأبحاث الأثرية بالجنوب المغربي خاصة منطقة واد صياد. وتجسد هذه الأخيرة بعض ملامح الاستقرار البشري خلال الفترة القديمة (ما قبل وما قبيل التاريخ) بمنطقة وادي صياد جنوب المغرب والتي تم استخلاصها كحصيلة للتحريات والأبحاث الميدانية المنجزة ما بين 2009-2015 في إطار أبحاث جامعية وأكاديمية.

كلمات مفتاحية: التاريخ القديم، الاستقرار البشري، الجنوب المغربي، واد صياد

Abstract:

This article provides an overview of the results of archaeological research in southern Morocco. The latter reflect some of the features of human stability during the ancient period (the prehistory and protohistory) in the Wadi Eçayad southern Morocco. Which were drawn as a result of investigations and field research carried out between 2009-2015 in the framework of university and academic research.

Keywords:Ancient history, human stability, south of morocco, Wadi Eçayad

تقديـــم:

يعد حوض واد نون من أقدم مناطق الاستقرار البشري بالجنوب المغربي. ويشكل وادي صياد أحد أهم روافده الرئيسية، إذ يتوفر على مجموعة من المؤهلات الأثرية والتاريخية المتنوعة الأشكال والمظاهر، والتي تؤكد على الغنى الثقافي والأثري واستقرار حضارات ماقبل وماقبيل التاريخ بالمنطقة. وتجسد النقوش الصخرية والمقابر الجنائزية واللقى والأدوات الأثرية إحدى جوانب وعناصر حضارة الإنسان القديم. كما تشكل موروثا تاريخيا وثقافيا، اعتبارا لقيمته الحضارية والأثرية الشاهدة على تواجد حضارات إنسانية عريقة. إلا أن هذا المجال المنفتح على الصحراء لم يحظى باهتمام بالغ ووافر من الدراسات والأبحاث الأكاديمية. لذلك، ارتأينا في هذا المقال المساهمة في إبراز بعض جوانب النتائج الأولية للأبحاث الميدانية التي تؤشر على أقدمية الاستقرار البشري بوادي صياد جنوب المغرب.

1- نبذة تاريخية حول الأبحاث الأثرية بالجنوب المغربي: وادي صياد نموذجا

يعتبر التراث الصخري من بين مكونات التراث الثقافي. ويمكن تعريفه على أنه عبارة عن مجموعة من إبداعات إنسان ما قبل التاريخ التي رسمها ونقشها على واجهة الصخور أو جدران المغارات أو المخابئ، حيث عبر من خلالها على فكره وثقافته ومعتقداته قبل ظهور الكتابة، ونظرا لأهميته فقد نعته الباحثون بالوثائق الصخرية[1].

ارتبطت بداية البحث الأثري بالمغرب بمرحلة الحماية، حيث صدر أول ظهير للحفاظ على التراث الثقافي سنة 1912، ونتج عنه تطبيق سياسية الترخيص حول الحفريات الأثرية من طرف المخزن[2]. وبعد ذلك، بدأت الأبحاث الأثرية مع الحقبة الكولونيالية، على يد ثلة من الباحثين أمثال، أولونو، ديبرت (Ci depertet, Olenz)،...الخ. إلا أن الانطلاقة الفعلية لدراسة الجنوب المغربي عامة ومنطقة باني خاصة، لم تنطلق إلا بعد استقلال المغرب بفترة طويلة، كالأعمال والتحريات الأثرية الأولية التي قام بها الباحث عبد الله صالح بمنطقة السمارة وطرفاية وغيرها.[3]

وعلى مستوى منطقة وادي صياد، فقد بدأت الاهتمامات بالبحث الأثري منذ سنة 1935 على شكل إشارات في أبحاث ودراسات مونوغرافية حول القبائل المستقرة بواد نون وواد صياد. وهي دراسات قام بها ثلة من الضباط والمكتشفين الفرنسيين خلال الحقبة الاستعمارية، منها دراسة دولاشابيل، دولاريل، ومنتاي. (*De la chapelle, De La reulle, Monteil,*).

عرفت منطقة واد صياد اهتمام ملموسا مع بداية الخمسينيات من القرن الماضي، حيث ظهرت أبحاث ومقالات علمية حول التراث الصخري من قبل: سيمونو، بيكاودو، لهوت. (*Puigaudeau, Simoneau, Lhote*) . وفي منتصف السبعينيات، أضحت منطقة باني ووادي صياد قبلة للعديد من المكتشفين والبعثات العلمية التي اهتمت كثيرا بالهوامش الصحراوية والأطلس الصغير بالخصوص[4]. غير أن الاهتمام الفعلي بالمنطقة سيعرف قفزة نوعية مع منتصف التسعينيات من القرن الماضي، وذلك تزامنا مع عقد اتفاقيات الشراكة بين وزارة الشؤون الثقافية آنذاك والمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث والمنتزه الوطني للنقوش الصخرية، والجامعات الوطنية والأجنبية، وبعض جمعيات المجتمع المدني العاملة في ميدان التراث

1-المحفوظ أسمهري، **أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته**، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضاراته. تكريم الأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي بن ميس، وذة البيضاوية بلكامل مكتبة دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى الرباط 2007 ص 102.

2-Skounti *et al.* 2004, p20.

3-صالح عبد الله، "**لمحة عن التاريخ القديم**". **الصحراء الاطلنتية: المجال والإنسان**، تنسيق رحال بوبريك تقديم محمد الناصري، منشورات وكالة الجنوب. الطبعة الأولى 2007 ص 33.

4-مصطفى أعشى، **إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف بإستناس الحيوانات**، مجلة المناهل، العدد 85 السنة 1998 مارس، ص 56.

والآثار[1]،على العموم، إن تاريخ البحث الأثري بمنطقة وادي صياد لايزال في بداياته الأولى. فشساعة المجال الصحراوي وزخم المواقع الأثرية والتاريخية يستدعي منا مواصلة البحث والتنقيب وجرد المواقع الأثرية الغير المدروسة والمعروفة،وبالتالي لا يمكن فصل تاريخ الاهتمام بالبحث الأثري بمنطقة واد صياد وباني وتخوم الصحراء والجنوب المغربي مع باقي مناطق المغرب وشمال إفريقيا بشكل عام.

2-وادي صياد: قراءة في التسمية والموقع:

2-1 التسمية:

وادي صياد هي كلمة أمازيغية. يطلق عليها محليا بأسيف إنكمارن (Assif I ngmarne) [2] أي واد الصيادين. استعملت هذه الكلمة من طرف سكان المنطقة لقرون طويلة. وقد تعرضت لتعريب من طرف المستعمر الفرنسي إبان تواجده بالمنطقة. ويعتبر فرديرك دولاشابيل ودولاريول (F. De la chapelle, et De La reulle) من أهم الضباط العسكريين الفرنسيين الذين استعملوا هذه التسمية في كتاباتهم الفونوغرافية حول المنطقة للدلالة على أحد روافد وادي نون،حيث يدونون أن تسمية واد صياد هي رافد من روافد وادنون، الذي يمتد من أعالي جبال باني ويصب في واد أسكا[3]. وقد استعملها أيضا، وولف (wolff) وسيمونو (simoneau) وروديريك (Rodrigue) في دراستهم[4].

2-2الموقع الجغرافي:

يقع وادي صياد في القسم الغربي لسلسلة باني بين إحداثيتي ''29.17°03'29 شمالا، و ''35.35°25'9 غربا. ويتمركز بالأساس في الحوض الكبير لكلميم- طاطا، وهو بدوره يتكون من روافد صغرى، ومقسم إلى قسمين: واد صياد العلوي (يشمل واحات تغجيجت، أداي، تكجكالت، أمتضي، تليليت، تيمولاي) والسفلي (واحات تركامايت، فاصك، تيغمرت، أسرير، تيكليث..) (انظر صورة رقم 1).

إجمالا، يمكن توطين منطقة واد صياد في القسم الشمالي الغربي من الصحراء الشمالية الغربية. وهي منطقة انتقالية بين المنطقة النباتية المتوسطية وبين المنطقة الصحراوية (*Sindienne*). ويطلق عليها أقاليم بلاد الجريد [5]. أي البلاد الواحية. وتنتمي إلى نطاق الواحات المغربية التي تمتد جنوبا وشرقا على حدود المنطقة الصحراوية، والمتميزة بمناخ صحراوي معتدل وهي منطقة مناخية متوسطية بامتياز[6].

3-جوانب من نتائج الأبحاث الأثرية بواد صياد: العناصر والمعطيات

3-1 النقوش الصخرية: متاحف تاريخية بالهواء الطلق

تتوفر منطقة وادي صياد على مخزون مهم من النقوش الصخرية. وتقع معظم هذه المواقع في الهواء الطلق خاصة على ضفاف الأنهار وبالهضاب

1-نسجل هنا: التحريات والمسوحات الأثرية التي قام بها الفريق المغربي الاسباني سنة 1998، والمنتزه الوطني للنقوش الصخري، بإضافة إلى أعمال وتحريات البعثات المغربية من طرف الجامعة المغربية منها أكادير، الرباط، مراكش خلال سنة 1995، 1998، 2000، 2005.

2-تسمية أمازيغية استعملت للدلالة على غنى الوادي بالحيوانات وكثرة الصيد والقنص، لذلك سميت بواد الصياد أي أسيف انكمارن محليا. وكلمة تنكمارت (*Tangmar*t) تعني الصيد.

3- De Lachapelle F. 1934, p 7.

4- Voir:

- A.simonaux, **les rhinocéros dans les graveurs rupestres Draa Baní**. Antiquité africaines T 10, 1976.
- R, Wollf, **chars schématique de l'oued Ecçayad**, Bulttien d'archéologie marocain, T 9 1976.
-A,Rodrigue**, l'art rupestre du Maroc : les sites principaux des pasteurs du Draa au métallurgistes de l'atlas.** L'harmattan 1999.

5- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر أكادير، **واحات باني العمق التاريخي ومؤهلات التنمية**، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى 1999، ص 24

6-المرجع السابق،ص 24-25

العليا. يبلغ عدد المواقع التي تم جردها إلى يومنا هذا أزيد من ثلاثين موقع للنقوش الصخرية، منها الموقع الأثري الزرزم، ترسلت، واوزوزونت تيسلان، بولاقواس، ادمي اوكماض، امي نتيفليت، تيسلان...[1]. ويغلب على موضوعات النقوش الصخرية تيمة البقريات والزرافات ووحيدات القرن والفيلة والنعامات والأشكال الآدمية والعربات ورموز أخرى غير محددة. (انظر Fig1-2-3-6 صورة رقم 2).

إن تحديد تأريخ النقوش الصخرية بواد صياد يظل أمرا صعبا، في ظل غياب معطيات مادية ملموسة تمكن من إعطاء تاريخ مطلق ومحدد. غير أنه تبقى الأبحاث الأثرية التي أنجزها الفريق المغربي الاسباني على شريط واد نون، محاولة أولية لإعطاء تحقيب تاريخي نسبي من شأنه اغناء ودعم المعطيات المرتبطة بتأريخ النقوش الصخرية بواد نون

والجنوب المغربي بوجه عام. وبالرغم من النقص الحاصل في تأريخ النقوش الصخرية بالمغرب، فالأبحاث والدراسات المنجزة مؤخرا في وادي تمنارت شمال شرق وادي صياد وموقع أزكر بنواحي بمدينة طانطان، تؤكد مرة أخرى إمكانية الوصول إلى تحقيب زمني مطلق لعمر النقوش الصخرية بالجنوب المغربي[2].

وبخصوص التقنيات المستعملة في انجاز هذه النقوش الصخرية بواد صياد نجد تقنية النقر والصقل. لقد اعتمد فنانين النقوش الصخرية بهذا المجال خلال فترة ماقبل التاريخ على استخدم عدة أساليب متنوعة لإنجازها، حيث يمكن تصنيفها إلى ثلاث أساليب: أولا، الأسلوب البقري (Style Bovidien)الذي يعتبر من أهم الأساليب المهيمنة على النقوش الصخرية بنسبة 50 بالمائة. ثم ثانيا، أسلوب تازنا (Style Tazina)، الذي يعتبر من أجمل الأساليب التي استعملت في النقوش الصخرية بالجزائر وبشمال إفريقيا، إلا أنه قليل جدا ونادر بمنطقة واد صياد (انظر Fig4-5صورة رقم 2). أما الأسلوب الثالث والأخير، فيعرف بالليبي الامازيغي[3]، ويتمثل في نقوش الجمل، الفرس، الأرجل، الكتابات الامازيغية، وبعض الرموز الغير المعروفة (انظر Fig6-7-8 صورة رقم 2).

3-2 المقابر الجنائزية[4]: مظاهر الاستقرار والاستيطان البشري

وهي عبارة عن بقايا مباني كانت تبني فوق القبور والمدافن على شكل أهرامات. وتتكون عادة من كومة من الأحجار أو التراب، وتعرف هذه المقابر باسم تيميلوس أو باسم "اكركور" أو "الرجم[5]". وتتواجد بقايا هذه المقابر في مختلف أنحاء منطقة وادي صياد، على حافات التلال والأودية وفي الفجاج.

تزخر منطقة وادي صياد كغيرها من مناطق الجنوب المغربي بالعديد من أشكال المقابر الجنائزية. فهي تتوفر على الآلاف المقابر الجنائزية التي تنتمي لثقافات ما قبل الإسلام. وتتنوع هذه المقابر بين قبور على شكل دائري أو مستدير، وأخرى على شكل هلالي، وهي متفاوتة الأحجام حسب موقعها الجغرافي والطبوغرافي (انظر صور رقم 3 / 2- Fig1).

1- بحث ميداني أنجزته خلال صيف 2009 -2012 و2013

2- أبحاث أثرية أنجزت في إطار شراكة مغربية اسبانية، بين المركز الوطني للنقوش الصخرية وفريق أركيولوجي اسباني. لقد زودنا الأستاذ عبد الخالق المجيدي بهذه المعطيات في إطار محاضرة ألقاها بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط يوم 21-05-2016.

3- استعملنا هذا المصطلح لعدم إقصاءه في السياق التاريخي والكرونولوجي المعاصر، حيث يطلق عليه من طرف بعض الباحثين اسم الليبي البربر "Libyco-berbère ".

4- تعددت التسميات هذا المكون الصخري، فهناك من يسميها مركبات جنائزية، أو مقابر، أو كومات صخرية، لكن الاسم المثقف عليه هو المعالم الجنائزية (les Monuments funéraires).

5- من الاسماء المحلية للقبور الجنائزية بالمنطقة.

بينت الحفريات الأثرية الأخيرة[1] بواد صياد خاصة في الموقع الأثري الزرزم شمال واحة تغجيجت والتي شملت التنقيب في ثلاثة مقابر، أن أحد هذه المدافن يرجع تأريخه إلى القرن السادس ماقبل الميلاد[2]. الشيء الذي أعطنا فكرة أولية حول المرحلة التاريخية التي تنتمي اليها المدافن، ثم أهم الطقوس والمعتقدات المتبعة في الدفن والخصوصيات المعمارية المرتبطة بالمقابر الجنائزية واستمراريتها إلى ما قبيل دخول الإسلام. إن هذه المعطيات الأثرية هي بمثابة شواهد حية ومهمة تدل على أقدمية الاستقرار البشري بواد صياد. إذن، يمكن القول بأن منطقة وادي صياد والمناطق المجاورة لها تعد مركبات أثرية وأركيولوجية[3]. فتنوع الأشكال الجنائزية وبقايا الثقافات المادية الموجودة بالمنطقة، تبرهن على وجود تعددية ثقافية واجتماعية للمجموعات البشرية التي استوطنت الجنوب المغربي خلال فترتي ما قبل وما قبيل التاريخ.

3-3 اللقى الأثرية والأدوات الحجرية: بقايا مادية لثقافات والحضارات القديمة

تحتضن منطقة وادي صياد مجموعة من المواقع الأثرية التي ترجع إلى الفترة النيوليتية. فمن خلال البحث الميداني الذي أجريناه، تم العثور على أدوات حجرية ولقى أثرية متنوعة تعود أساسا إلى الفترة النيوليتية والحضارة العتيرية والايبروموريزية وكذا العصر الحجري الوسيط. ونذكر منها قطع صوان، نواة، محك، قاطع، مثقب، قطع فخار، أداة التزيين، مكشط، قشور بيض النعام، قطع الرحى...[4]. وهي أدوات حجرية تتشابه كثيرا مع باقي اللقى الأثرية الموجودة بنواحي مدينة السمارة والداخلة بالجنوب المغربي (انظر جدول رقم1 وصورة رقم4)، تمثل آثار الثقافات المادية التي استوطنت المنطقة لقرون غابرة. وفي غياب دراسات مختصة لمعرفة الحضارات التاريخية المتعاقبة على منطقة واد صياد من خلال اللقى الأثرية، أصبح من اللازم على الباحثين والبعثات العلمية تكثيف الأبحاث الأثرية قصد معرفة حضارات الفترات القديمة وكذا المرحلة الوسطى[5].

أما بخصوص الأدوات الحجرية التي تعود إلى الحضارة الأشولية، فنسجل غيابا واضحا، مما يجعلنا نتساءل لماذا لم تشهد بضبط منطقة واد صياد استقرار حضارات العصر الحجري القديم على غرار باقي منطقة السمارة والداخلة؟ هل هذا راجع إلى قلة الأبحاث والمسوحات الأثرية؟ أم أن أعمال تخريب المواقع الأثرية وتهريب اللقى والأدوات بالمنطقة في السنوات الأخيرة، ساهمت إلى حد كبير في إزالة أثارات هذه الثقافات والحضارات القديمة، وبالتالي شكلت العامل الرئيسي وراء غياب هذه البقايا المادية؟

1- أنجزت هذه الحفريات بفضل اتفاقية تعاون في مجال الآثار والتراث الموقعة بين المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (الرباط ،المغرب) وجامعة كاستيلا لامانشا اسبانيا، بقيادة الأستاذ يوسف بوكبوط . وقد بدأ برنامج ثنائي البحوث الأثرية في عام 1995 في منطقة سوس ماسة تكنة على شريط وادنون ومنحدرات الأطلس الصحراوي.

2-El Graoui M. *et al.* 2010, p 45

3-Bokbot Y .et Onrubia G. 2013, p .85

4-بحث ميداني صيف 2012-2014

5-عبد الجليل بوزوكار،**البدايات الأولى للاستقرار البشري بالجنوب المغربي من خلال آخر معطيات اركيولوجية ماقبل التاريخ مدينة السمارة نموذجا**، السمارة الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير مطبعة المعارف الرباط، الطبعة الثانية 2002، ص 36

خاتمة:

انطلاقا من الأبحاث الميدانية، يمكن الجزم بأن منطقة واد صياد والواحات الصحراوية التابعة لها، شكلت مجال استقرار بشري منذ فترات تاريخية قديمة. فتنوع موضوعات النقوش الصخرية وأشكال المقابر الجنائزية واللقى الأثرية الموجودة بها، تدل على تعدد وتنوع المجموعات البشرية المستقرة على ضفاف وادي صياد، مما سمح لها بلعب أدوارا تاريخية وثقافية بين ضفتي شمال إفريقيا وجنوب الصحراء. وهي إشارات ودلالات عن وجود تواصل حضاري وتلاقح ثقافي مع باقي المناطق الصحراوية منذ العصور الحجرية.

وفي انتظار أبحاث أثرية وتاريخية ودراسات معمقة لمعرفة الحضارات التاريخية التي استقرت بواد صياد خاصة وبالجنوب المغربي عموما، أصبح من اللازم على الباحثين والبعثات العلمية تكثيف الأبحاث بغية معرفة الحضارات المتعاقبة على المنطقة وباقي المجالات الصحراوية والشبه الصحراوية. لدا وجب أن يكون مستقبل الأبحاث والبرامج الأثرية حول الجنوب المغربي، محط اهتمام المؤسسات القطاعية المعنية بمجال التأريخ والمحافظة على التراث والآثار.

مجلة منبر التراث الأثري
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

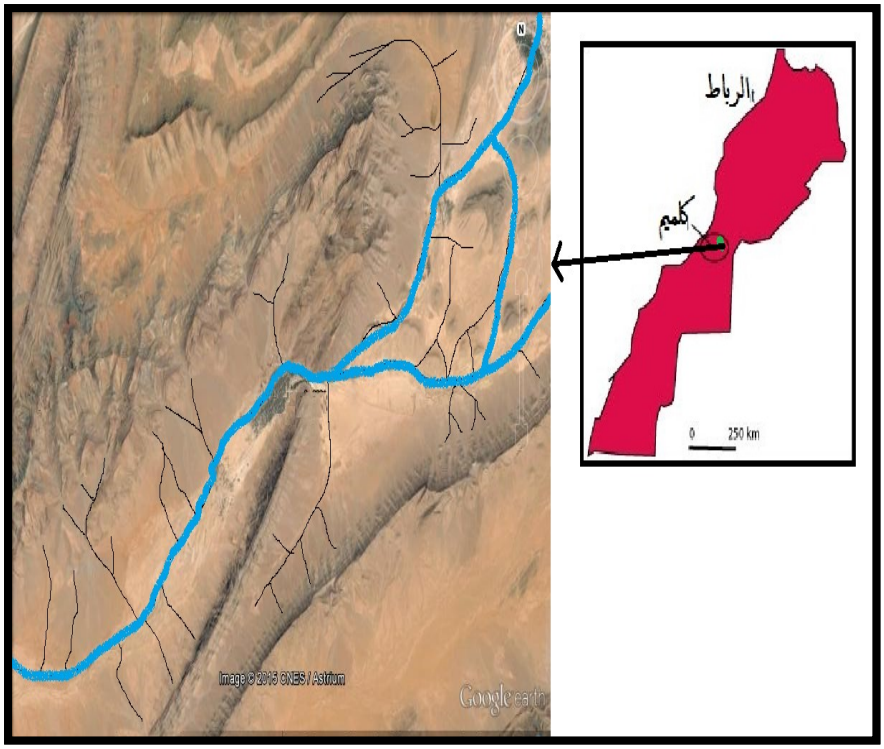

صورة رقم1: خريطة الموقع الجغرافي لواد صياد بالجنوب المغربي

المصدر: إنجاز شخصي، أبريل 2015

صورة رقم 2: نماذج من النقوش الصخرية بوادي صياد

المصدر: تصوير شخصي، 2009-2015

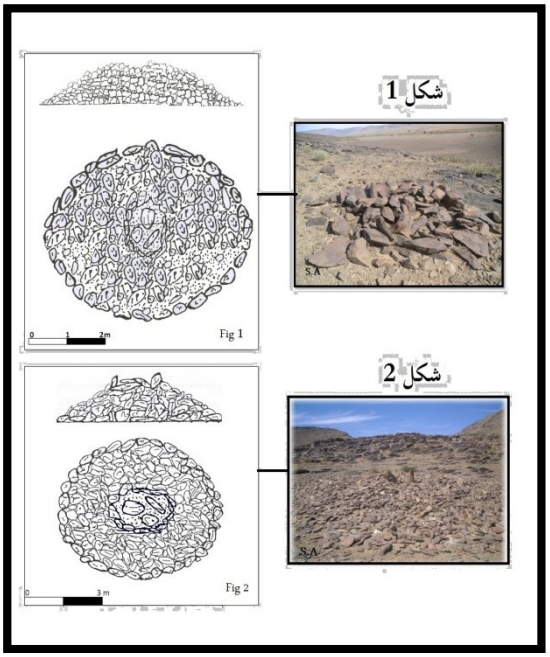

صورة رقم 3: بعض أشكال المقابر الجنائزية الموجودة بواد صياد

المصدر: تصوير شخصي، 2009-2015

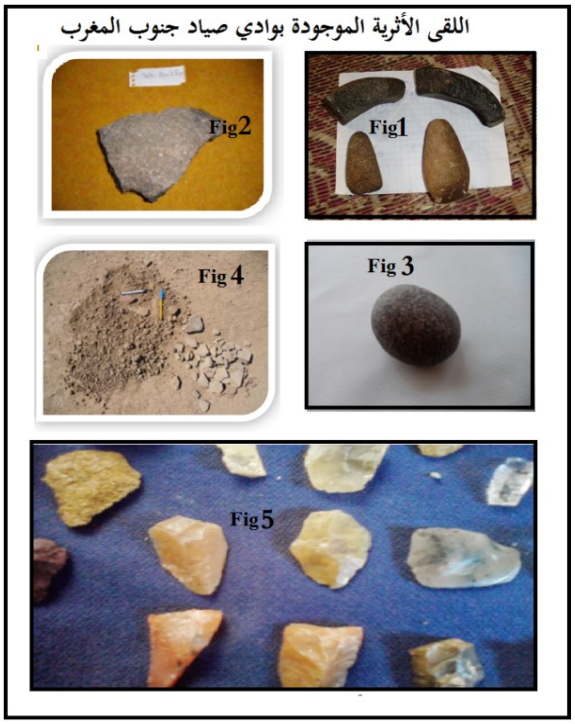

صورة رقم 4: بعض اللقى والأدوات الحجرية المكتشفة بوادي صياد الجنوب المغربي.

المصدر: تصوير شخصي، 2009-2015

البيبلوغرافيا:

باللغة العربية:

-المحفوظ أسمهري، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضاراته. تكريم الأستاذ مصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي بن ميس، والبيضاوية بلكامل، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى الرباط 2007.

-عبد الله صالح، "لمحة عن التاريخ القديم". الصحراء الاطلنتية: المجال والإنسان، تنسيق رحال بوبريك تقديم محمد الناصري، منشورات وكالة الجنوب. الطبعة الأولى 2007.

-عبد الجليل بوزوكار، البدايات الأولى للاستقرار البشري بالجنوب المغربي من خلال أخر معطيات اركيولوجية ما قبل التاريخ مدينة السمارة نموذجا، السمارة

-الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير مطبعة المعارف الرباط، الطبعة الثانية 2002.

-مصطفى أعشى، إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف باستئناس الحيوانات، مجلة المناهل، العدد 85 السنة مارس1998.

-كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، واحات باني العمق التاريخي ومؤهلات التنمية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى 1999

باللغة الفرنسية:

-Bokbot Y, Onrubia J, Néolithique, Protohistoire, archéologie islamique et ethnoarchéologie du Sous Tekna, patrimoine culturelle matériel dans la région du sous massa Draa, série colloque et séminaire n° 35 Publication IRCAM. 2013

-F. De Lachapelle, Les Tekna des Sud-ouest marocaines études Géographique, historique et sociologique, Edition comite de L'Afrique française, 1933

-El Graoui M., Bokbot Y., Jungner H., Searight S. M., Datation radiocarbone sur des ossements dans un tumulus à l'Adrar n'Zerzem, Oued Ec-cayad, région de Taghjijt (Sud marocain). Sahara n°21, 2010

-A, Rodrigue, l'art rupestre du Maroc : les sites principaux des pasteurs du Draa aux métallurgistes de l'atlas. L'Harmattan, 1999

-A, Simoneau, les rhinocéros dans les graveurs rupestres Draa Baní. Antiquité africaines T 10, 1976

-A, Skounti, Lemjidi A., Nami M, Tirra : aux origines de l'écriture au Maroc, Publication IRCAM, Rabat. 2004

-R, Wolff, chars schématique de l'oued Ecçayad, BAM Tome 9, 1976.